المجلد 3 / العـدد: 8_30 أكتوبر 2018، ص 31- 40

ثقافة الذات والكائن المشترك: استعمالات ورهانات الحقيقة

Culture de soi et l'être en commun : usages et enjeux de la vérité

أ.د.بن مزيان بن شرقي[1]
كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة
جامعة وهران2، الجزائر

مقدمة:

إن مفهوم الحقيقة لا يحمل هنا الدلالة الميتافيزيقية والتي يمكن أن تظهر لأول وهلة حينما نقوم بإدراج هذا المفهوم، والذي بلا ريب، شكل إحدى الأسس المركزية في تاريخ الفلسفة، والذي يمكن تصوره في تقاسم مع الدلالة الأنطولوجية كنقطة مشتركة في التفكير حول الوجود الإنساني، أي طبيعة الكائن البشري، بل وحتى ""صفة"" الكائن في طبيعته الوجودية. إن تصور الحقيقة الذي أريده توظيفه هنا هو ذلك الذي يقف على الاعتناء الذي أولته فلسفة الأنوار لمفهوم حقيقة الطبيعة البشرية.

Le mot vérité que j'emploie n'est pas d'ordre métaphysique bien qu'il peut nous y paraître à première vue, mais il constitue, sans doute, l'un des éléments centraux de la philosophie et qu'il puisse être saisi en partage avec le sens ontologique, comme étant un point de la réflexion sur l'existence humaine, voire la «qualité» de l'être dans sa nature d'existence humaine. La conception de la vérité que je veux développer dans cet esprit, est celle qui a engendré la nature humaine et qui a constitué l'objet de la réflexion philosophique durant l'histoire de la philosophie car nul ne peut nier aujourd'hui que Socrate, Platon ou même Aristote, quels que soient leurs agencements, ont exclu l'homme de leurs réflexions, mais la conception la plus présente et sur laquelle j'insiste le plus dans cette contribution, est celle des Siècles des Lumières.

1-أستاذ بقسم الفلسفة، جامعة وهران2 ا benmeziane.bencherki@univ-oran2.dz
مخبر الأنساق، البنيات، النماذج والممارسات LSSMP benmezianeb.oran2@gmail.com

لقد اخترت هذه الفترة من تاريخنا لكي أبين كيف أن فكرة حقيقة الطبيعة البشرية تكونت وصيغت في أفق تاريخي حاملا للآمال، ولفلسفة العيش سويا، ولفكرة الكائن المشترك. وكيف أن هذا المعنى للشراكة والمشترك شكل القاعدة التي حولها تمت الصياغة الفلسفية لاستعمالات ورهانات حقيقة الطبيعة البشرية، حتى تبقى الإنسانية والإنساني محور تصور جديد حامل لحلم الحرية ولفهم جديد لمعنى المشترك، من حيث أنه تجسيد فعلي لفكرة التقدم. ولكن بالمقابل وجد الكائن المشترك نفسه في وجه تصور لا يمكن أن يقال عليه اليوم سوى أنه تصور توتاليتاري للثقافة، لأن بواسطته تمت مصادرة الخصوصيات الثقافية بنوع من التصنيف السُّلمي/ الهرمي للثقافات حسب تقسيم أحادي الجانب بين ثقافة متمدنة وأخرى عُزلت لأنها متخلفة ووحشية.

بهذه الكيفية يمكننا أن نلاحظ في بعض النصوص، كما هو الحال لدى هيجل مثل هذا الموقف الذي يحرم الأفارقة من حقهم في الثقافة[1]. ولغرض ضبط أكثر لرهان تحليلنا، أريد أن أطرح السؤال التالي، والذي قد يبدو للبعض منا بأنه إفتزازي. أليست العولمة المفروضة علينا اليوم بالتصور الحالي إعادة وبدون اختلاف لفكرة التقدم؟

إذا ما قمنا بتحليل لتراث عصر الأنوار، لا يستطيع أحد أن ينكر أن فكرة التقدم التي أثيرت من قيبل فلاسفة ومفكري الأنوار كفكرة آمل للبشرية، الآمل في التنمية هي نتيجة طبيعية لتفكير استغرق على الأقل قرنين من قبل، لأن فلسفة مونتسكيو، وميكافيلي وجون لوك، وحتى هوبز، ليست سوى بدايات لمشروع كبير توَّجَهُ جون جاك روسو في *العقد الاجتماعي*. فورشات هذه المجموعة من الفلاسفة والمفكرين تتلخص في جملة من

---

[1]- «*هناك صعوبة في فهم الطابع الأفريقي الخاص. لأنه ينبغي علينا حين نشير إليه أن نتخلى تماما عن المبدأ الذي يصاحب على نحو طبيعي جميع أفكارنا- وهو مقولة الكلية. فالسمة البارزة لحياة الزنجية هي أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي جوهري (...) فالرجل الزنجي،(...) يمثل الإنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المروضة تماما ولا بد لنا، إن أردنا أن نفهمه فهما حقيقيا سليما، أن نضع جانبا كل فكرة عن التبجيل والأخلاق(...) فلا شيء مما يتفق مع الإنسانية يمكن أن نجده في هذا النمط من الشخصية(...) والرابطة الجوهرية الوحيدة التي وجدت ودامت بين الزنوج والأوربيين هي رابطة الرق.(...) ويمكن إذا نظرنا إلى الأمر في ضوء الحقائق، أن ننتهي إلى القول بأن الرق كان فرصة لزيادة الشعور الإنساني بين الزنوج*» هيجل ، العقل في التاريخ،،تر الإمام عبد الفتاح إمام، ط،2، دار التنوير، 1981، ص ص 162-169.

الأفكار، من بينها، نقل فكرة الشرف التي تعبر عن معنى جديد للكرامة البشرية، إلى معنى الاتفاق والتفاهم، المنظم بعقود بين حارس وراعي للشرف، والذي مثلته الدولة في شكلها الجمهوري ولونها الديمقراطي، وبين الخادمين الجدد في شكل الأفراد/المواطنون. هذا ما يمكن أن يستخلص من الفقرة الأخيرة من الفصل الثاني، والفقرة الأولى من الفصل الثالث من الجزء الأول من كتاب *العقد الاجتماعي* لروسو حينما يقول"" *إن العبيد يضيعون كل شيء في الحديد، حتى الرغبة في الانفلات، ويحبون حقيقتهم كأصحاب أويلس الذين يحبذون إنهاكهم . إذا كان هناك عبيد بالطبيعة، فلأن هناك عبيد ضد الطبيعة. (...) إن الأكثر قوة ليس أبدا قوي لكي يكون السيد إذا لم يحول قوته لحق ولطاعة الواجب. من هنا كان حق الأكثر قوة هو حق أخذ ظاهريا وبصورة تهكمية ووضع في حقيقة الأمر في صيغة مبادئ*""[2] هاتان الفقرتان هما بمثابة الاعتبارات الأولى للطبيعة البشرية في شكلها التعاقدي المصاغ مجددا، والتي ستأخذ من وجهة النظر هذه شكل المجتمع المُشكل، ولهذا السبب كانت الدولة كمعنى للدلالة على ما هو مشترك و أصبحت ضرورة شرطية للاندماج . ما يجب الإشارة إليه منذ هذه اللحظة بالضبط هو أن مفهوم الكرامة أصبح بدءا من هنا مساويا للمجتمع الديمقراطي وأن "" *المفهوم القديم للشرف أصبح حتما متجاوزا* ""[3].

ولهذا أصبحت فكرة سيادة الدولة تعبير عن فكرة الشرف، والتي كانت قبل هذا، أساس الحروب بين الأمم وحتى بين الأفراد أو الجماعات ، فهذه الكيفية في التنظيم التعاقدي الجديد تم تعويض الشرف بحق الاعتراف بالذات، كذات مستقلة، وبالذات كآخر، ذات خليقة بالاحترام المتبادل. هذا الدمج الرائع الاجتماعي والسياسي نجح في إدراك المكون الكيميائي للتركيبية القاعدية للطبيعة البشرية، والتي هي الحقيقة. يعطى روسو تسمية لهذا التلاقي الودي مع الذات "" *الإحساس بالوجود*""[4] الوجود الذي يأخذه تمدده الفردي، الاجتماعي والجمعوي.

---

[2] - Rousseau, Contrat Social, Livre I. Chap. II, III.

[3]- Taylor Charles, Multiculturalisme, Différence et démocratie, Tra. D.A. Canal, Flammarion, 1994,P.44.

[4]- عبارة جاء ذكرها من قبل تشارل تيلور في المرجع السابق.

لذلك شكلت هذه الصورة في أساسها فكرة أفق تاريخي أسس جوهر الحقيقة البشرية في التفسير لمختلف صور هذا التقدم: صورة المساواة في الفرص، والمعتقدات، والتعابير الفنية والحريات.

ولكن ما نلاحظه اليوم في ظل العولمة، والتي كان من الممكن أن تكون حاملة لأمل بشري، بعيد عما كانت البشرية تأمله منذ الأزمنة الحديثة لأنه إذا ما كانت الديمقراطية كنمط للاعتراف بالذات قد عوضت الشرف كصيغة للكرامة فإن ""الديمقراطية فتحت سياسة اعتراف متساوي الذي أخذ أشكالا مختلفة خلال سنوات قبل أن يعود تحت أشكال قصرية لمساواة نظام الثقافات والأجناس"[5]، في أشكال وحدوية للتطبيقات للحقيقة البشرية وذلك بإرساء فكرة المصير المشترك المغلف بتصور للمساواة في الفرص، والثقافات والحريات والذي كان محل استشكال نقدي في القرن العشرين[6] من قبل فلاسفة تحت شعار نقد تراث العقل[7]حيث عملوا على تعرية سلبيات الاستعمالات وميادين تطبيقاتها الكلانية التي أراد ترسيخها التصور جديد للديمقراطية والمتمثل في:

1-الانتقال لفكرة الكونية التي تبعد كل خصوصية تراثية ممكنة.

2-تطوير المفهوم الحديث للهوية والذي أعطي ميلادا لسياسة استعمال ا لفضاء العمومي.

ولتحليل جيد لهذا الاستشكال، أفضل العودة لنص فيلسوف للحضارات، والتاريخ، والذي كان ضحية تفسير خاطئ في السنوات الماضية، بل وحتى استغلال مشين لتصور مقلوب من طرف صموئيل هنتنكتون صاحب كتاب صدام الحضارات.

أسفلود شبنجلر، في ""*تدهور الحضارة الغربية*"" وضع ضمن ورشة فلسفية فكرة مهمة تتلخص في فكرة الوحدات الثقافية للأمم، وباختيارنا هذا الملاحظة لمعنى الوحدة الثقافية في تصور شبنجلر، الذي أراد أن يعطي أملا لتضايف حقيقي وفعلي لتحالف الثقافات من خلال ***مزج الأفاق mélange des horizons*** كما يقول غادمير، والتي تأخذ في الاعتبار

---

[5] -Ibid., P.44.

[6] -«... لماذا لم يظهر أبدا في هذا الجانب طب علمي، طب للأمم وللجماعات فوق الوطنية؟ إن الأمم الأوربية مريضة، أوروبا ذاتها توجد، كما يقال، في أزمة » أ. هوسرل، أزمة البشرية الأوربية والفلسفة، تر، إسماعيل المصدق،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2008،ص 518.

[7]- يمكن أن نذكر هنا مجموعة منها فلاسفة مدرسة فرانكفورت، أرنست كسيرار، ونصوص هوسرل خاصة مقالاته الأخيرة حول التجديد

خصوصيات كل أمة في حق التحديث والتمدن تبعا لتصورها الخاص وفي تطابق مع مكاسبها التراثية. هذه الفكرة لثقافة الذات المقدمة من قبل شبنجلر يمكنها أن تسمح للخصوصيات الثقافية لأمة، ولشعب، أو حتى لأقلية أن تظهر وأن تعبر عن ذاتها في تمازج قابل للاختلاف وليس في وحدوية تخفي التفاوت. لكن مصير هذه الفكرة، فكرة شبنجلر، أنها طرحت في مناخ لحربيين عالمتين مدمرتين التي طبعت العالم بجروح ما تفتئ أن تعاود الظهور في عالمنا المعاصر وخاصة في ذلك الثقل الذي خلفته على عاملنا العربي، عالم الضفة الجنوبية من البحر المتوسط.

إن نقد فكرة التقدم كممارسة ورهان لحقيقة الطبيعة البشرية، لم تكن بعيدة عن انتقادات أخرى أكثر صرامة والتي ظهرت في العالم العربي، في فترة كان جل المفكرين العرب والمسلمين يدافعون، كل من زاويته، على ضرورة الإيمان بالتقدم العربي، والعربي الإسلامي. هكذا وفي غمرة هذا الوهج، اندفع العرب وكلهم أمل في تقدم مأمول، حيث لم تكن فكرة التقليد الحضاري بعيدة عن فكرة ضرورة الحفاظ على الخصوصية الثقافية العربية، والعربية الإسلامية، والتي أعطت، بلا شك، الانطباع للجميع، بأن العالم العربي، على مستوى بعض الخطط، بدأ يعيش انبعاثا حاملا للآمل أو لتنمية مماثلة لتلك التي يشهدها عالم الضفة الشمالية. ولكن إذا ما نظرنا اليوم لهذه المرحلة من تاريخنا القريب الذي صنع في حضورنا أو في غيابنا، في عالم كانت مقاصده البحث عن الانسجام بالمعنى الكلاني يمكننا أن نلاحظ بأن الخصوصيات الثقافية للشعوب أو للأقليات حتى داخل الأمة الواحدة لم تكن مقبولة، إلا وفقا للأنماط المفروضة وتبعا للبنيات المحددة من قبل، بواسطة مقولات جاهزة. لقد كانت هذه الوضعية موضوع نقد شجاع من قبل العديد من المفكرين المعاصرين العرب كما هو الحال مع: أدونيس، والتريكي، ونصار، والعالم، والسعداوي، وأخيرا العروي في كتابه "حول العقل". هذا الكتاب الذي كانت أفكاره، موضوع محاضرة ألقيت من قبل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة صفاقس، تونس، حينما يرى ""أننا اليوم بعيدين على إشكالات ونقاشات مفكري النهضة، الشيخ عبده، لأننا، عوض حل مشكلة الإقلاع التي كنا نأمل فيها، زاد الوضع تخلفا أكثر مما كان

عليه من قبل، وأن المسؤول الوحيد على هذا الوضع هو المثقف العربي نفسه لأنه لم يسمع لخطى صمت المجتمع""[8]. وبالرغم من أن بعض الأنظمة السياسية حاولت وبكيفيات مختلفة تصور لنفسها بأنها فهمت مطلب الرهان الحقيقي لطبيعة الاعتراف بالذات ولكنها نسيت أن "" *الاعتراف العام كان مدمجا في الهوية المشتقة اجتماعيا من الفعل نفسه الذي كانت فيه مؤسسة على مقولات مجتمعية والتي يعتبرها كل واحد كضمان*"[9] هذه المقولات التي تلخص فشل صيغ ممارسات ورهانات الحقيقة لدي مواطنينا من الضفة الجنوبية للمتوسط هي: المكان، و الزمان، والعلاقة[10]

1-**مقولة المكان أو الفضاء**: أي أنه لا يمكنك أن تكون كما أنت كائن أو كما يجب أن تكون إلا قياسا بفضاء حضاري نموذجه مصاغ من قبل، وهو أوروبا مهد كل الحضارات، الفلسفة والعلم، كما يقول مثلا هوسرل[11] والتي تقدم النموذج الداخلي والخارجي لكل إمكانية لتنمية مستدامة.

2-مقولة الزمن: أي أنه، لا يمكنك أن تكون داخل منطق حضاري إذا ما فكرت في مصير، وحتى في مستقبل متخيل تبعا لتقاليدك التي هي جزء من ماضيك ومن تراثك، مما قد يصعب المهمة على الوعي حينما يجد نفسه بين بعدين: بعد الأفق، و بعد فضاء التجربة.

3-مقولة الجهة أو العلاقة: أي أنه، لا يمكنك أن تكون سوى وسيطا بين المقولتين السابقتين بين فضاء لا تمتلكه وزمن مسلوب، مما يشجع التقليد أو التجاوز الرافض لكل روح خلاقة.

هذه المقولات الثلاث تلخص على مستوى حقيقة الطبيعة البشرية الانتقال من وضع يكون فيه الكائن البشري فعال صاحب أفعاله لكائن مشلول. وهذا الوضع هو نتيجة لما عزلته فلسفة الأنوار من حقيقة الطبيعة البشرية، ونعني بذلك الرغبة في الاعتراف، اعتراف الذات بذاتها، وبخصوصيتها الثقافية، وفي وحدته الثقافية الفردية والجماعية.

---

[8] مستخلص من المحاضرة في إجابته على احدي أسئلة القاعة

[9] Taylor, Ibid., P 53.

[10]- وهي المقولة الخامسة، والسادسة، والرابعة من جدول المقلات عند ارسطو، في سنة 2001 صدر كتاب عنوانه أي فلسفة للقرن والواحد والعشرين؟ كان محتواه إعادة تحيين لهذه المقولات مع قضايا القرن الجديد.

[11] -Husserl, E. La crise des sciences européennes et l'humanité, Gallimard, 1976,P. 355

وهكذا اليوم، وفي جو العولمة، وبالرغم من أنه يبدو لنا بأن منظومة مفاهيم ثقافة الذات تغيرت، فإنها لم تتوقف عن طرح مشاكل عدة بما فيها ثقافة المقاومة، التي أخذت أشكالها الأكثر خطورة في التعصب الديني.

ولكي لا أبتعد كثيرا على تحليلي أريد أن أجيب على المقولات الثلاثة التي ذكرتها سابقا، والتي تشكل معنى الحقيقة الذي أدرجته في نصي هذا، لكي أفكر جيدا في هذه العلاقة بين ثقافة الذات والعولمة والتي تشكل في حقيقة الأمر مساهمتي في هذا اللقاء.

1-بالنسبة لمقولة الفضاء أو المكان، يمكننا أن نلاحظ صورة المقاومة في سياقين: الفضاء الداخلي والخارجي. إذا كانت فكرة انسجام الثقافات التي فرضت كشرط للاندماج بالمعنى المشترك في منطق فكرة التقدم ففي المقابل وفي العولمة العلاقة بين الثقافة الداخلية والخارجية وجدتا أنفسهما في مواجهة ، الوجه للوجه، في علاقة إضطهاد وإنتفاضة. الثقافة الخارجية في ظل العولمة تريد أن تكون النموذج المثالي الذي يجب إتباعه بينما الثقافة الداخلية تريد المحافظة على مكوناتها الطبيعية. هذه الصورة يمكن أن تكون صادقة بالنسبة للفرد أو للدولة، ولتحليل هذه الصورة المتناقضة يمكنني أن آخذ المنظمة العالمية للتجارة، هذه الهيئة التي لم تتوقف على المطالبة بفتح الحدود للتبادل الحر كنموذج للاندماج الطبيعي، وهو نموذج معولم من نماذج الانسجام المعولم للتجارة.

هذه الظاهرة يمكن الوقوف عليها في الأزمة الاقتصادية، بداية من نهاية الثمانيات، حينما وجدت بعض البلدان نفسها أمام ظواهر اجتماعية اقتصادية لم تستطع التحكم فيها: الندرة في المواد الاستهلاكية، الغلاء ، وحتى فقر فاحش والتي لم تستطع الدولة النموذج، حامية الشرف المنبثقة عن فلسفة الأنوار أن تجد لها حلولا"" حيث ظهر الفقر كدليل على عدم قدرة السلطة الحاكمة (والتي سبقتها في الحكم)، ضمان مهمتها في المدينة""[12].

وأمام أوضاع تجاوزت كل التوقعات الممكنة وبدل التكفل بالمشاكل الداخلية فتحت السلطات الحاكمة مشاريع للدمقرطة التي لم تكن في حقيقة الأمر سوى حلولا غير ناضجة أو ملفقة لنموذج للتبادل الحر المفروض بتحولات عالمية عصر ذاك، وهكذا سرعان ما

---

[12] - François De Bernard, La Pauvreté durable, édition du Félin, 2002, P.67.

انقلبت الأمور في صورة تراجع، وتعصب ديني، والذي لم يكن في حقيقة الأمر سوى المسار الذي سمح لصورة خفية لوضعية الوجه وجه، لثقافة المقاومة ضد الثقافة الخارجية أن تظهر للوجود . في حين افترضنا أن مشكل هذه الفئات يكمن في مستوي الحرية ولكن حقيقة رهان هذا الإشكال كانت في هذا المنطق الجديد لأقلمة الفقر[13] مدعما من قبل موجة العولمة وإلا كيف يمكننا تفسير هاتين المشكلتين:

1-غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، حرب الخليج الأولى، دون إذن مسبق من قبل مجلس الأمن بينما سيادة الدولة تبعا لميثاق الأمم المتحدة المستخلص من القانون الدولي في حل النزاعات يتطلب اتفاق كلي لأعضاء مجلس الأمن.

2- كيف يمكننا أن نفسر أن بعض الرجال الذين كنا نقول عليهم حدثيين وجدوا متورطين في جماعات دينية متطرفة.

هذه الصور تؤكد لنا أن الفضاء الفردي والعمومي هو الحقل الذي فيه يجري تحليل إرادة الشعب، والمجتمع في المشاريع التي تمس الحياة العامة داخل الفضاء الواحد مما يعني أن رهان إعادة تشكيل المجتمع ، ومستقبل شعب لا يمكن أن يقرر سوى في الممارسة الفعلية لأفق الاعتراف بالذات.، وأنه فقط بهذه الفلسفة يمكننا فهم أن الديمقراطية لا يمكنها أن توجد إلا بفضل ثقافة وتقاليد الشعب.

2-بالنسبة لمقولة الزمن، فإنها اليوم في مواجهة مشكلتين:

أ- أفق الانتظار الذي لم يتوقف على تغذية حلمنا في التحديث وفي الانتقال من صورة ضرورة العيش أن نحى فقط، إلى فكرة العيش الهيء كعمود لهذا الحلم.

ب- حقل التجربة الذي يعبر في أفقه عن كل التاريخ الذي بفضله يجد التراث فينا مصداقيته. صورة هذين عاملين، تبدو اليوم واضحة في مستويين:

- في سياسيات الاندماج وحقوق عبور الحدود المفروضة من بعض الدول أو حتى الأقطاب القارية ضد الحقوق الطبيعية، كما هو الحال مع حقوق التنقل، والإقامة المضمونة حقا بالمادة 2/13 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[14] .إذا ما

---

[13] المرجع نفسه.

[14] - المادة 2/13 "" كل شخص له الحق في أن يغادر كل دولة بما فيها دولته وأن يعود لبلده""

حللنا اليوم حجم القوانين المفروضة من بعض دول الشمال مثلما هو الحال مع المجموعة الأوربية ضد كل تنقل للإفراد والعراقيل كما هو الحال مع الإجراءات التعجيزية للحصول على تأشيرة الدخول يمكننا أن نقول أن العالم دخل في حرب ضد ""فئة المطرودين من البشرية،" في الوقت الذي ننسى فيه بأنه مازال لنا "" نحي أكثر معا، على المستوى العالمي وفي مزج لمجتمعاتنا الفردية""[15].

- في منطق التصرفات والسلوكات الاجتماعية في ""مجتمعات الاستقبال"" ، دول الضفة الشمالية، حيث تبرز مشكلة اللباس كما هو الحال مع الحجاب الذي لم يتوقف يوما في خلق استشكال لهذه المجتمعات، استشكال التعايش الاجتماعي ، استشكال حول استغلال الفضاء العمومي[16]،لأنه لا نعمل في كل مرة سوى على إعادة دراسة هذه العلاقة بين تمسك بعنف بثقافة الذات، بالرغم من أن ثقافة ارتداء الحجاب غير متفق عليها لدى كل فئات المسلمين لاختلاف العلماء، وبين القوة المجتمعية المدعومة من قبل سياسيات الاستقبال التي تفرض سياستها اللباسية كمسطرة ضرورية للانسجام الاجتماعي بينما الجميع ينسي وتبعا لهذا التشخيص بأنه توجد"" بعض الطرق لأن تكون إنساني والتي هي طريقتي. فأنا مدعو لأن أعيش حياتي بهذه الطريقة، ليس بتقليد حياة الآخر.""[17].

3-بالنسبة لمقولة العلاقة فإن وضع طرق وقنوات جديدة للحوار من قبل أنظمة سياسية داخلية معروفة بسلطتها التوتالتيارية لا يستجيب اليوم لآمال المواطنين وحتى لخصوصيات الطبيعة البشرية. وهذا لا يجب أن يجرنا إلى الاعتقاد الأعمى الذي يجعل من الديمقراطية طريقا غير مضمون لأن النظام الديمقراطي هو المنفذ الوحيد لتفتق الملكات بالرغم من القوى الداخلية للاضطهاد، لأن التعصب الديني اثبت بأنه بعيد عن رهانات حقيقة الطبيعة البشرية. أمام هذا الوضع المتناقض انبثقت العديد من الظواهر التي ليست سوى التعبير الحقيقي عن

---

15 Taylor, Ibid, P. 97.

16 يمكن أن نذكر هنا تلك الأفكار المتنازع عليها اليوم بين فلاسفة كثر كما هو الحال مع هبرماس، وروولس، وتيلور، وروورتي.

17 Ibid, P 47.

حقيقة الطبيعة البشرية كما هو الحال مع هذا العدد الهائل من الأفراد الذين يجازفون يوميا لعبور الحدود نحو بلدان الضفة الشمالية بطرق غير شرعية نحو ""فضاء الآمل والعيش الهنيء"". هذه الظاهرة، والتي على الرغم من التعاون المشترك لأنظمة الضفة الجنوبية مع الضفة الشمالية، لم تتوقف، فهي في رأينا تعبير عن مدى قدرة هؤلاء الأفراد على المغامرة لكي ينجو بأنفسهم، وبحياتهم من الموت الأكيد لأن "" كلمة **الحياة** ليس لها هنا معنى فيزيولوجي، إنها تعني حياة تعمل من أجل غايات وتنجز تشكيلات روحية إنها حياة مبدعة للثقافة بالمعنى الأوسع في إطار وحدة تاريخية ما""[18].

بتحليلنا اليوم لهذه الظواهر، والتي هي كثيرة، يمكننا التأكيد بأن رهان هذه الظاهرة، لا يمكنه أن يفهم إلا في هذا المنطق الجديد للوساطة، لأن مواطن الضفة الجنوبية وبعد هذه الموجة للصور المنقولة بواسطة الوسائل التكنولوجية للاتصال، استطاع أن يُكوِّن لنفسه فكرة عن ماذا تعني الكرامة في كل دلالاتها، والتي كانت سابقا بند تعهده المثالي في مسار التعاقدي منذ قرنين من الزمن ولكن شعارات دول الجنوب أثبتت ومازالت تثبت عدم فعاليتها في إقناعها للشعوب بحلم المشاريع الانتخابية. في ظاهرة ""الحراقة"" يمكننا ملاحظة "" إلى أي مدي هوية هي بحاجة لاعتراف يمنح أو ينزع من قبل "" مانحي المعنى """[19] معنى الوسيط القصدي للحقيقة التي تبحث عنه ثقافة الذات والتي هي في الحقيقة ممارسات واستعمالات الكائن في ذاته ليست سوى رهان غير منتهي في البحث على المعنى، معنى الكائن والوجود المشترك.

---

[18]- هوسرل ، مرجع سابق، ص 518.

[19] Taylor, Ibid., P. 54.